

السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني

م. د. خليل خلف بشير العامري

جامعة البصرة - كلية الآداب

ملخص البحث:

هذا بحث يتناول السياق وأنماطه وتطبيقاته في النص القرآني الخالد، وقد مهّدت له بتعريف السياق في المعجمات اللغوية والاصطلاحية ثم تحدثت عن أنماط السياق محلاً للشواهد القرآنية بالاعتماد على دراسات قرآنية قديمة وحديثة مسلطاً الضوء على سياقات النص القرآني الداخلية: المعجمية، والصوتية، والإيقاعية، والصرفية، والنحوية، والقصصية، والسياقات الخارجية: سياق الحال، وسياق المقام، والسياق التاريخي، والسياق الاجتماعي مؤكداً حقيقة هي أن نظرية سياق الحال التي نادى بها العالم الإنكليزي جون فيرث لم تكن جديدة في عهده، ذلك لأنها متأصلة عند علماء العربية القدماء أمثال سيبويه، والجاحظ، وابن قتيبة، وابن جني، والجرجاني، وغيرهم وما تكررهم عبارتي (لكل مقام مقال)، (ومطابقة الكلام لمقتضى الحال) إلا شاهد ومشهود على ذلك إذ إنهم تنبهوا إلى أهمية السياق في فهم النص اللغوي وتحليل وظائفه اللغوية المكونة لبنية النص غير متناسين الجو الاجتماعي أو النفسي الذي رافق النص مما سمّوه بـ(الحال) أو (المقام) على أن السياق في التعبير القرآني له خصوصية متفرّدة ذلك أن النص القرآني حمّال أوجه إذ تتعدد عنده الوجوه بتعدد السياقات مما يكون له أثر في توجيه الدلالة وتنويعها، وقد جاءت هذه الدراسة لتعطي معالم أو جوانب واضحة عن نظرية السياق محاولةً تطبيقها على النص القرآني.

سياق العقاب الصارم للظالمين والكافرين واستعمال المقاطع المفتوحة في سياق النعيم عند وصف حالة المتقين وما هم فيه من دعة، ورخاء، وحبور. وقد كان للفاصلة القرآنية أثر كبير في تكوين السياق الصوتي، وإن كنا قد سمّيناه بالسياق الإيقاعي ذلك الذي أطلق عليه القدماء عبارة (مراعاة الفواصل) أو (تناسب الفواصل)، ولعل الفاصلة في السور المكية جاءت متوائمة مع جبروت المكيين وفعلهم المنكرات والعادات السيئة إذ جاءت سريعة آخذة غير مسترسلة حادة حاسمة، وبعبارة في السور المدنية إذ جاءت

ولكل نمط من أنماط السياق خصوصية فالسياق النحوي يبرز بوساطة البنية النحوية وعلاقات الكلمات ووظائفها ومواقعها من حيث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، ومجيء الفعل ماضياً أو مضارعاً، مبنياً للمجهول أو مبنياً للمعلوم، والسياق الصرفي الذي يركّز على السوابق، واللواحق، والزوائد فكل زيادة في المبنى ترافقها زيادة في المعنى، وكثيراً ما يقترن السياق الصرفي بالسياق النحوي لتفاعل الصرف والنحو في سياق واحد، أما السياق الصوتي فيتجلى من خلال التنغيم في الآيات فضلاً عن الإيحاء الصوتي للكلمات القرآنية، مع استعمال المقاطع المقفلة في

التعرف على عادات وقيم وأخلاق اجتماعية تحدث عنها القرآن الكريم وماهية العلاقات الاجتماعية زمن الدعوة الإسلامية ومقارنتها بالعلاقات زمن الجاهلية، ولا يمكن فهم كثير من الآيات ما لم نحط إحاطة تامة بالحوادث التاريخية التي تتعلق بنزول بعض الآيات أو السور فمثلاً سورة التوبة التي تحدثت عن غزوة تبوك، وسورة الأنفال ذكّرت بغزوة بدر، وسورة الحشر سجلت غزوة بني النضير، وسورة الفتح ارتبطت بصلح الحديبية وفتح مكة، وسورة الأحزاب وثقت غزوة الخندق حتى سميت بغزوة الأحزاب فضلاً عن أنّ سيرة المصطفى (ص) فُصِّلت في سور عديدة منها: المزمل، والمسد، والمدثر، والجن، والفيل، والكوثر، والعلق، والقلم، والتحریم، والنور وغيرها. على أنّ اختلاف الخطاب القرآني متأت من اختلاف رتبة المخاطبين ومن اختلاف سياق حالهم فخطاب النبي (ص) يختلف عن خطاب بقية الأنبياء، وخطاب المؤمنين يباين خطاب المشركين إذ إنّ خطاب النبي جاء هادئاً لِقصد مؤانسته وطمأنته أما خطاب المؤمنين فليّن ممزوج بالنصح والإرشاد وبعكسه خطاب المشركين الذي جاء شديداً غليظاً يعتريه الوعيد بالنار والسعير والملائكة الغلاظ الشداد إذ يتنوع العذاب وتتعدد مشاهدته.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الأطهار، وصحبه المنتجبين الأبرار، وبعد: فهذا بحث يتناول السياق وأنماطه وتطبيقاته في القرآن العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

مسترسلة مناسبة نزاعة إلى التفصيل والتوضيح لأنها خاطبت مجتمعاً آمن بالله ورسوله. وكانت قصص الأنبياء موزعة على سور كثيرة إلا قصة يوسف فقد تفردت بوقوعها في سورة واحدة لا غيرها هي سورة يوسف لخصوصية هدفها الاجتماعي ومراعاة لمشاعر المسلمين والمسلمات، فضلاً عن ذلك فإن توزع القصص على سور القرآن لا يعني بالضرورة تكرار هذه القصص، وإنما السياق اقتضى ذلك زد في ذلك تحقيق التماسك النصي الذي يكون في القصص على مستويات ثلاثة: في أكثر من سورة على مستوى القصة نفسها، وعلى مستوى الموقف من القصة في السورة والسورة نفسها، وعلى مستوى السورة والسور الأخرى التي فيها مواقف من القصة.

ويشتمل السياق الخارجي على سياقات متعددة تبدو متشابهة لكنها مختلفة فالسياق الاجتماعي يتعامل مع مجموعة من العلاقات الاجتماعية بين المتحدث والمتلقي والتعامل الاجتماعي ونوعيته بين المشتركين، وسياق الحال يعتني بكل الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب النص وتحيط به نطقاً أو كتابةً ويمكن التعرف عليه في النص القرآني من خلال علم المناسبة وسبب النزول، في حين يعتني السياق التاريخي برصد الحقائق التاريخية ذات الصلة بحياة الناس وقد أشار القرآن إلى الحوادث والغزوات والتجارات والأسفار، وكان التركيز على غزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته العطرة فضلاً عن قصص الأنبياء (عليهم السلام). ويفيدنا السياق الاجتماعي في

من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ - فصلت/٤٢﴾، وقد مهّدتُ له بتعريف السياق في المعجمات اللغوية والاصطلاحية ثم تحدثتُ عن أنماط السياق محلاً للشواهد القرآنية بالاعتماد على دراسات قرآنية قديمة وحديثة مسلطاً الضوء على سياقات النص القرآني الداخلية: المعجمية، والصوتية، والإيقاعية، والصرفية، والنحوية، والقصصية، والسياقات الخارجية: سياق الحال، وسياق المقام، والسياق التاريخي، والسياق الاجتماعي مؤكداً حقيقةً هي أن نظرية سياق الحال التي نادى بها العالم الانكليزي جون فيرث لم تكن جديدة في عهده، ذلك لأنها متأصلة عند علماء العربية القدماء أمثال سيبويه، والجاحظ، وابن قتيبة، وابن جني، والجرجاني، وغيرهم وما تكررهم عبارتي (لكل مقام مقال)، (ومطابقة الكلام لمقتضى الحال) إلا شاهد ومشهود على ذلك إذ إنهم تنبهوا إلى أهمية السياق في فهم النص اللغوي وتحليل وظائفه اللغوية المكونة لبنية النص غير متناسين الجو الاجتماعي أو النفسي الذي رافق النص مما سمّوه بـ (الحال) أو (المقام).

على أن السياق في التعبير القرآني له خصوصية متفرّدة ذلك أن النص القرآني حمّال أوجه إذ تتعدد عنده الوجوه بتعدد السياقات مما يكون له أثر في توجيه الدلالة وتنويعها، وقد جاءت هذه الدراسة لتعطي معالم أو جوانب واضحة عن نظرية السياق محاولةً تطبيقها على النص القرآني عسى الله ينفعنا بها في الدنيا والآخرة، على أن هذه الدراسة بذرة من بذور الدراسات القرآنية عسى أن تكون جيدة وصالحة للزراعة بعد أن سقاها الباحث بماء العيون

ومداد اليراع لـ (تُوتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا - إبراهيم / ٢٥ ﴿﴾، والله ولي التوفيق.

السياق في اللغة:

جاء في أساس البلاغة قول الزمخشري: ((... ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً. وساق إليها المهر. وساقته الريح السحاب...)). والمحتضر يسوق سياقاً، وفلان في ساقاة العسكر: في آخره، وهو جمع سائق كقادة في قائد، وهو يساوقه ويقاوده وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق و " إليك يساق الحديث " وهذا الكلام مساقاة إلى كذا وجئتُك بالحديث على سوقه: على سرده... وقامت الحرب على ساقها. وكشف الأمر عن ساقه...))^(١)، وجاء في لسان العرب قول ابن منظور في شرح مادة (سوق): ((سوق السوق: معروف. ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسواق وسياقاً، وهو سائق وسواق شدد للمبالغة ... وقال تعالى) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ^(٢) (... والسياق: نزع الروح))^(٣) أو المهر أي ((الصدّاق لأن أصل الصدّاق عند العرب الإبل والغنم فكانوا إذا تزوجوا يسوقونها مهراً))^(٤). وجاء في المعجم الوسيط: ((ساق الله خيراً ونحوه: بعثه وأرسله. وساقته الريح التراب والسحاب رفعته وطيرته. وساق الحديث: سرده وسلسله ... وساق الكلام: سرده وأسلوبه الذي يجري عليه))^(٥).

يتضح مما سبق أن للسياق عدة معانٍ منها: نزع الروح، والمهر، وأسلوب الكلام، والبعث والإرسال والتتابع، ويعنيها من هذه المعاني الكثيرة معنى واحداً هو أسلوب الكلام.

السياق اصطلاحاً:

هو بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة^(٦)، وهو ما يسمى بالقرينة الحالية إذ أنه قد يعبر عن القرينة الحالية بالسياق^(٧) نحو قول المتنبي:^(٨)

فيوماً بخيلٍ تطردُ الرومَ عنهم

ويوماً بجدٍ تطردُ الفقرَ والجديبا

فتطرد الثانية مجاز لغوي، والقرينة الحالية؛ لأن الفقر لا يطرد.

ويحدد السياق معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاثة في تحليل النص هي^(٩):

(١) يحدد أية جملة تمّ نطقها.

(٢) يخبر عن أية قضية تمّ التعبير عنها.

(٣) يساعد على القول أنّ القضية تحت الدرس قد تمّ التعبير عنها بموجب نوع من القوة غير الكلامية دون غيره.

أكد جون فيرث الوظيفة الاجتماعية للغة، وصرّح

بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال جعل الوحدة

اللغوية في سياق مختلف، وهذا يتطلب تحليلاً

للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها

غير لغوي، فمعنى الكلمة يتحدد تبعاً لتعدد السياقات

التي تقع فيها^(١٠)، ولذلك فقد تعددت تقسيمات السياق،

وما زال السياق يشغل حيزاً واسعاً في البحث

اللغوي المعاصر، ويستحوذ دوره في تحديد

الدلالة ويستأثر باهتمامهم حتى يصير نظرية متكاملة

ترتبط بجهود علماء كثيرين يأتي في مقدمتهم عالم

اللغة الإنكليزي فيرث^(١١)، على أنّ جذور تلك

النظرية متأصلة عند علمائنا الأفاضل أمثال سيويوه،

والجاحظ، وابن قتيبة، وابن جني، والجرجاني، وغيرهم^(١٢).

وقد شبه جون لاينز علاقات السياق بنسيج

العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد يمثل كل خيط فيه

إحدى هذه العلاقات وتمثل كل عقدة فيه وحدة

معجمية مختلفة وأنه يستحيل إعطاء معنى كلمة من

دون وضعها في نص. أي أن السياق يعتمد على

تجميع الكلمات بعضها مع بعضها الآخر، وتربط

أجزائها وتتابعها بحيث توحى إلى معنى وهي

مجتمعة في النص^(١٣) فهو - السياق - يقوم بتحديد

العلاقات السياقية التي تربط الكلمات في التركيب،

وتكتسب قيمتها من مجاورتها الكلمة السابقة

واللاحقة في أي تركيب أو نص، ويحدد السياق نوع

هذه العلاقة^(١٤) فإذا أريد تحديد دلالة النص لابدّ من

معرفة عملية التساوق التي تسمح للكلمات في

التركيب أن تتساوق مع الكلمات الأخرى فمثلاً

كلمة: (حرج) أصلها اللغوي (الضيق)^(١٥) بيد أن

معناها اللغوي قد تغير من خلال دخولها في سياق

آخر غير (الضيق) فهي بمعنى (الشك) في قوله

تعالى: (كَتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ

لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ - الأعراف / ٢) (وبمعنى

(الإثم)^(١٦) في قوله: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ - النور

/ ٦١) (وقوله) وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ

حَرَجٌ - التوبة / ٩١.

وقد استعمل القرآن الكريم ألفاظاً تحمل مدلولاً

مترادفاً، ولكنها في السياق تعطي مدلولاً

مغايراً، ومثال ذلك (الغيث) و(المطر). قال

الجاحظ: ((وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها

وغيرها أحقُّ بذلك منها. ألا ترى أنّ الله تبارك

وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السَّغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث^(١٧) فكلاهما عندهم بمعنى واحد فالغيث: المطر والكلاء، والمطر: الماء المنسكب من السحاب^(١٨)، ولكن المعنى في القرآن الكريم مختلف إذ إن الغيث معناه الماء المنسكب من السماء رحمة للعباد، وهو سبب الخير و النماء والزرع وهو متاع للناس والأنعام^(١٩) نحو قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ - الشورى / ٢٨)، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ - لقمان / ٣٤﴾ (في حين دل المطر على نعمة الله على الكافرين المعرضين أرسله الله تعالى عقاباً للأُمم الكافرة و الأقوام السادرة في غيِّها^(٢٠))، نحو قوله تعالى: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ - هود / ٨٢) (وقوله: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ - الشعراء / ١٧٣، النمل / ٥٨).

يستدل من ذلك أن لغة التنزيل قد ((فرقت بين المطر، والغيث فكان المطر عذاباً وشرّاً ونذراً بالويل والثبور، وكان الغيث رحمةً وخيراً ونعماً))^(٢١)، ومثل ذلك في استعمال لفظي (الرياح والرياح) فالرياح ضارة شديدة قاسية عاصفة في حين الرياح هادئة مطمئنة طيبة تحمل في نساتمها الخير^(٢٢) نحو قوله تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ - الحاقة / ٦)، وقوله: (وَهُوَ الَّذِي

يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ - الأعراف / ٥٧)، وقوله تعالى) بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ - الأحقاف / ٢٤، وقوله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ - الحجر / ٢٢) (ويستثنى من ذلك قوله تعالى) حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا - يونس / ٢٢. (فقد دلت الرياح على الرحمة؛ لأن سياق الآية يتطلب ذلك^(٢٣))، ولكنها رحمة مؤقتة فقد ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ - يونس / ٢٢﴾ ومما يؤيد هذا الفرق الدقيق الذي استعمله القرآن بين الرياح والرياح رواية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: ((هاجت ريح أشفق منها رسول الله (ص) فاستقبلها وجثا على ركبتيه ومدّ يديه إلى السماء ثم قال: اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها رياحا، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً))^(٢٤). وربما يتجلى للعلم هذا الفرق الدقيق بين الرياح العاصفة القاصفة، والرياح الخيرة الطيبة مع أن المفروض أن تكون الرياح أشد قسوةً وعصفاً وقصفاً من الرياح لأن الرياح جمع للريح^(٢٥)، ولعل هذا سر من أسرار القرآن الكريم يبقى

مكوناً إلى ما شاء الله. ولا يمكن استبعاد السياق من الدراسة الدلالية خلافاً لما يراه بعض اللسانيين معلّين ذلك بالمصاعب العملية والنظرية البالغة التعقيد في معالجة السياق معالجة مرضية متناسين أنه لا يمكن معرفة معنى جملة ما بمعزل عن السياق^(٢٦) بل إن الكلمات والحروف ليس لها معنى خارج السياق،

يستدل من ذلك أن لغة التنزيل قد ((فرقت بين المطر، والغيث فكان المطر عذاباً وشرّاً ونذراً بالويل والثبور، وكان الغيث رحمةً وخيراً ونعماً))^(٢١)، ومثل ذلك في استعمال لفظي (الرياح والرياح) فالرياح ضارة شديدة قاسية عاصفة في حين الرياح هادئة مطمئنة طيبة تحمل في نساتمها الخير^(٢٢) نحو قوله تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ - الحاقة / ٦)، وقوله: (وَهُوَ الَّذِي

الباقية التي هي العزة الحقيقية، والعزة التي هي للكافرين هي التعزز وهو في الحقيقة ذل ... وقد تستعار العزة للحمية، والأنفة المذمومة)) (٣٠) وذلك في قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ - البقرة/٢٠٦)).

أنماط السياق:

ذكر الدارسون المحدثون أنواعاً كثيرةً للسياق منها: السياق العاطفي، وسيقاق الموقف، والسياق الاجتماعي والسياق الداخلي، والسياق الخارجي ... الخ، ولكني آثرتُ نوعين منها، لأن كل هذه الأنواع إنما تتصوي تحت هذين النوعين (٣١) :-

(١) السياق الداخلي: ويسمى أيضاً السياق اللغوي، ويشمل السياق الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والقصصي.

(٢) السياق الخارجي: ويسمى أيضاً السياق غير اللغوي، ويشمل سياق المقام، والسياق الاجتماعي، والسياق التاريخي، وسيقاق الحال، وسيقاق الموقف.

أنماط السياق القرآني

أولاً: أنماط السياق الداخلي: وهي على النحو الآتي:

1- السياق النحوي: ويعنى السياق النحوي بالبنية النحوية وعلاقات الكلمات، ووظائفها، ومواقعها من الترتيب فعند تتبع الآيات التي ورد فيها لفظ الجلالة نجد الكثرة الكاثرة منها قد تقدم فيها المسند إليه على المسند، ولنأخذ سورة النحل شاهداً على هذا التقديم ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً/٦٥ (وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ /٧٠ (وقوله) وَاللَّهُ

وإنما تكتسب معناها من خلال السياق الذي توضع فيه (٢٧).

من هذا المنطلق بدأت محاولات المفسرين والمؤولين من صحابة، وتابعين، وعلماء (تلقوا النص القرآني واستوعبوا مرامييه، ومقاصده من خلال معرفتهم بظروف التنزيل ومناسباته وسيقاق أحكامه ونصوصه أثمرت هذه البيانات التي قيدها المصنفون في كتب الوجوه والنظائر بل إن بعضهم - ممن لم يقف على أثر منقول في تفسير ألفاظ بعينها استعان في تفسير مدلولاتها - زيادة على ما أستمده من أهل اللغة - بما اقتنصه من السياق الذي وردت في الألفاظ على نحو ما فعل الراغب الأصفهاني في كتابه مفردات القرآن ((٢٨) إذ عدّ من أبرع اللغويين القدامى في توظيف السياق اللفظي بدقة، وذكاء حتى وصف بأنه يستثمر المعاني من السياق (٢٩).

وللتدليل على هذا نأخذ مفردة من مفردات معجمه ولنختار مادة (عزّ) التي قال فيها: ((العزة حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب من قولهم: أرض عزاز أي: صلبة قال: ﴿أَبْيَتُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً - النساء / ١٣٩﴾، والعزير الذي يقهر ولا يقهر. قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - العنكبوت / ٢٦﴾ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ - يوسف / ٧٨﴾ قال: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ - المنافقون / ٨﴾ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ - الصافات / ١٨﴾ فقد يمدح بالعزة تارة كما ترى ويذم بها تارة كعزة الكفار قال ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ - ص / ٢﴾ (ووجه ذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة

معه، والمضارع بعد الواو، والظرفية للمفعول فيه،
والتحديد والتوكيد للمفعول المطلق، والملابسة للحال،
والإخراج للاستثناء، والمخالفة للاختصاص وبعض
المعاني الأخر^(٣٤) فضلا عن قرائن لفظية تدخل في
السياق مثل العلامة الإعرابية، والرتبة، والصيغة،
والمطابقة، والربط، والتضام، والأداة، والنغمة^(٣٥).

وقد يحذف من التعبير القرآني لفظ أو أكثر
على وفق السياق القرآني مؤدياً هذا الحذف غرضاً
بلاغياً في غاية الفن والجمال فلننظر إلى قوله
تعالى﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا
— الكهف / ٩٧﴾ إذ الأصل (استطاعوا) في الأولى
فحذف التاء تخفيفاً، لأن المقام مقام تخفيف فصعود
السد أيسر من نعبه وأخف عملاً كما تشير إلى ذلك
الآية السابقة﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي
أُفْرَغَ عَلَيْهِ قِطْرًا — الكهف / ٩٦﴾ ثم طول الفعل
فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل فقال ﴿وَمَا
اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾^(٣٦) ويرى أستاذنا الدكتور علي
ناصر غالب أن (استطاع) و(استطاع) لهجتان، وكناتهما
معزوتان فالأولى معزوة لقبيلة أسد، والثانية معزوة
لأهل الحجاز^(٣٧)، وينبغي التنويه إلى أن القدماء
ذكروا شروطاً للحذف منها — الذي يتعلق ببحثنا —
وهو أن يكون في المذكور دلالة على المحذوف
ويعرف من لفظه أو من سياقه.

ويبرز السياق النحوي في سياق آيات القيامة
الذي يوصف بـ ((سياق تهويل، وتهديد، ودال
على الحركة التي لم تحدث لحد الآن، وإن التنبؤ قائم
على حصولها في المستقبل))^(٣٨) كما في قوله
تعالى﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ *

جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا / ٧٢﴾ (تقدم المسند
إليه (لفظ الجلالة) على المسند (الفعل) مما حدا
بالدكتور إبراهيم أنيس^(٣٢) أن يعدّ هذا النظام أسلوبياً
من أساليب القصر يلجأ إليه في الكلام عند إرادة
قصر صفة من الصفات على المسند إليه ففي هذه
السورة المباركة وأمثالها جاء تقديم لفظ الجلالة على
الفعل بيانا لنعمه الكثيرة على الناس، وتذكيراً على
آلائه على العباد ودفعاً لما يتوهم من أن له شريكا
فيها أو أن للإنسان يدا في الحصول عليها فاقترضى
المقام أمر تدبيرها على الله سبحانه، وأن يؤكد هذا
المعنى في أذهان العباد.

ولبيان دور العلاقات النحوية في توضيح الدلالة
نمثل بقوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ
يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ
— التوبة / ٣﴾ فكلمة (رسوله) الأولى مجرورة،
والثانية مرفوعة ولا بد من أن تكون الثانية كذلك،
وربما تكون منصوبة على العطف على اسم أن، أما
تكون مجرورة فلا؛ لأن معنى الآية يمنع ذلك
ويحرمه^(٣٣)، ولعل حادثة أبي الأسود الدؤلي مع
ابنته خير ما يؤيد دور هذه العلاقات عندما قالت: ما
أجمل السماء قال أبو الأسود: نجومها. قالت: ما
أردت الاستفهام بل التعجب. قال لها: بل قولي ما
أجمل السماء! إذاً هناك قرائن معنوية تفيد في تحديد
المعنى النحوي مثل علاقة الإسناد بين المبتدأ
والخبر، ثم بين الفعل والفاعل أو نائبه فالجملة قد
تكون اسمية أو فعلية وقد يكون الإسناد خبرياً أو
إنشائياً، ومن القرائن الأخرى التعديّة للمفعول به،
والغائيّة للمفعول لأجله، والمضارع المنصوب بعد
اللام، وكي، والفاء، ولن، وإذن، والمعية للمفعول

وقد تكون صيغة الماضي المبني للمجهول في مقام الذم نحو قوله تعالى) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً - المعارج/ ١٩ ﴿عندما يذكر الخالق خصلة من طبيعة البشر فلا ينسب الفعل إلى نفسه لأنه في مقام ذم وسوء وهذا أقرب إلى المخلوق منه إلى الخالق لذا نراه في مقام المدح ينسب الفعل إلى نفسه (٤٢). قال تعالى) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ - التين / ٤ ﴿.

وقد تقدّم لفظة مذمومة على أخرى ممدوحة؛ لأن السياق يقتضي ذلك مثال ذلك قوله تعالى) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً - المعارج/ ٢٠-٢١ ﴿، وحفلت بمشاهد كثيرة من التعذيب (٤٣)

منها قوله) يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيِّهِ * وَصَاحِبِيَّتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى - المعارج/ ١١- ١٧ (وذهبت الدكتورة عواطف كنوش إلى أن الله تعالى قد فضل الشر على الخير لأن السياق يقتضي ذلك (٤٤)، والواقع أنه قدّم الشر على الخير؛ لأن السياق سياق عذاب وسوء ولو أنه فضل الشر على الخير فكيف نفهم دعوة الأنبياء إلى فعل الخير وتجنب الشر ولاسيما أن الله تعالى يثيب على فعل الخير ويعاقب على فعل الشر فهو القائل) فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ - البقرة/ ١٤٨، المائدة/ ٤٨ ﴿، وهو القائل في زكريا (ع) وأسرته) إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ - الأنبياء / ٩٠ ﴿، وهو الموحى إلى الأنبياء بفعل الخيرات في قوله) وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ - الأنبياء/ ٧٣ (ولعل جمعه كلمة (خير) على (خيرات) في عشرة مواضع في القرآن وعدم

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ - الانشقاق / ٤١- ٤٢ (وقوله) إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا - الزلزلة / ٢١- ٢٢ (فمجيء ((الفعل ماضيا تقرير لأنه حادث فعلا وقد صدرَ بـ (إذا) فصرفته إلى المستقبل دون أن يفقد التعبير أثره الذي يوحي به استعمال الماضي بدلاً من المستقبل الصريح)) (٣٩) ثم أن الأفعال التي شكّلت سياق آيات القيامة أغلبها مبنية للمجهول مما جعلها ظاهرة أسلوبية وقفت عندها الدكتورة بنت الشاطي طويلا وسمتها (ظاهرة الاستغناء عن الفاعل) وقد ألمحت إلى ثلاثة أشكال لهذه الظاهرة (٤٠):

(١) البناء للمجهول: وفيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه إذ إن زلزلة الأرض، والنفخ في الصور، ودك الأرض، وانشقاق القمر، وانتشار الكواكب، وبعثرة القبور (٤١) وغير ذلك لا تتعلق بالمحدث ذاته هو الله سبحانه وتعالى أم أحد ملائكته أم قوة إلهية.

(٢) المطاوعة: وفيها بيان للطواعية التي يتم بها الحدث تلقائيا أو على وجه التسخير، فليس بحاجة إلى فاعل، نحو قوله تعالى) اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ - القمر/ ١ ﴿ وقوله ((إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ - الانشقاق/ ١) ﴿.

(٣) الإسناد المجازي: الذي يعطي المسند إليه فاعلية محققة يستغنى بها عن ذكر الفاعل الأصلي، نحو قوله تعالى:) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوراً * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً - الطور/ ٩- ١٠ ﴿، وقوله) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُغُ - القيامة/ ٧- ١٠ ﴿.

ورسما صورة بارعة لموقف أنساني واقعي في مثل هذه الحالة) قالوا أنك لأنك يوسف (إنهم استرجعوا الصورة التي مرّ عليها أعوام كثيرة في لحظة واحدة لكنهم مازالوا مبهوتين مترددين، هذه الآية وضحت أثر التنعيم في الدهشة التي تنطق بها^(٤٨)، على أن للنبر نوعين يميّز بينهما د. تمام حسان هما: نبر الصيغة ونبر السياق في كون نبر السياق يمكن وصفه إما أن يكون تأكيداً أو تقريراً ولا يكون كذلك نبر الصيغة^(٤٩).

ومما يتصل بالسياق الصوتي أن التنزيل العزيز يعبر بالمقاطع المقفلة عن معنى العقاب الصارم الذي ينزل بالظالمين الكافرين الجاحدين نعمة الله وفضله في قوله تعالى) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ - الفجر/١٣﴿.

(ص — ب) — (ل — ي) — (ه — م) —

(ر — ب) — (س — و)

وقوله) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ - الطارق / ١٣ — ١٤).

(ا — ن — ق — و — ل — ن — ف — ص

ل — ن — ب — ل — ه — ز) (٥٠)

وبالمثل يعبر بالمقاطع المفتوحة في سياق النعيم عندها يصف حال المتقين إذ يرون ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال تعالى) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ / ٨ — ١٦﴿، وتجتمع صورتان (وجوه المتقين) و (وجوه الكافرين) في مشهدين متناقضين في قوله تعالى) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

جمعه كلمة (شر) على هذا الجمع يوحي بتفضيله الخير على الشر، أمّا ورود كلمة (شر) أكثر من كلمة (خير) فهذا يعود إلى دعوة الباري عزّ وجلّ عباده إلى الابتعاد عن الشر والأشرار ومرافقة الخير والأخيار. قال أبو العلاء المعري:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكن لتوقُّيه ومن لا يعرفُ الخيرَ من الشرِّ يقع فيه ﴿٥١﴾

٢- السياق الصوتي: ويفهم هذا النمط من خلال التنعيم الذي يعرف بأنه المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام^(٤٥)، وله وظيفتان فضلاً عن وظيفته الصوتية هما: وظيفة نحوية من خلال تحديد الإثبات والنفي والاستفهام والتعجب والاستنكار وغيرها في جملة، ووظيفة دلالية يمكن رؤيتها لا في اختلاف علو الصوت وانخفاضه فحسب بل في اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع في الشاهد التنعيمي الذي يقوم من الأمثلة مقام الميزان الصرفي من أمثلته^(٤٦)، وقد تكون النغمة هابطة أو صاعدة وثابتة في التقرير والطلب والاستفهام غير المبدوء بهل والهمزة، وصاعدة وثابتة في الاستفهام المبدوء بهل والهمزة، وفي المجموعة الكلامية التي لم يتم بها المعنى^(٤٧). مثال النغمة الهابطة قوله تعالى) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا - النازعات/ ٤٢ — ٤٣ ﴿ أما مثال النغمة الصاعدة فقوله تعالى) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا - يوسف/ ٨٩ — ٩٠ ﴿ إذ كشف الاستفهام والتوكيد المتجاورين في الآية عن حقيقة نفسية عميقة في طبيعة الإنسان،

والهدوء، وطول النفس فهي تخاطب قوما آمنوا بها واطمأنوا إلى هدايتها إذ إن مهمتها تنظيم حياة المسلمين دينياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً من عبادات، ومعاملات، وتنظيم مجتمع، وتهذيب أخلاق^(٥٢)، ولعل في قصر الفواصل المكية سر من أسرار الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وهو مناسبة الخطاب اللغوي إذ راعى القرآن طبيعة المكين فقد كانوا جابرة تسود بينهم المنكرات والعادات فيقتضي خطابهم بلغة سريعة آخذة غير مسترسلة، وقول حاد حاسم يبرز التجانس الصوتي وتعلو الموسيقى بقصر الجمل، أما الخطاب اللغوي في السور المدنية فقد جاء مسترسلاً مناسباً ينزوع إلى التفصيل والتوضيح، وكل ذلك يشهد على تلون الخطاب القرآني مع تغير الأحوال، والمقتضيات، وطبيعة المخاطبين^(٥٣).

وتأتي الفاصلة في السياق القرآني ((مستقرة في قرارها مطمئنة في مواضعها غير نافرة ولا قلقة يتعلق معناها بمعنى الآية كلها بحيث لو طرحت لاختل المعنى))^(٥٤)، وقد يلحقها هاء السكت مما يؤدي إلى عدل مقاطع السورة فيكون للحاقها في هذا الموضع تأثير عظيم في الفصاحة^(٥٥) كما في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارٌ حَامِيَةٌ - القارعة / ٨ - ١١)).

وقد يقتضي السياق زيادة في أجزاء الجملة أو حذف أو تحول من صيغة إلى أخرى أمّا مثال الزيادة فقوله تعالى ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ - يوسف/٤٦﴾، إذ كررت (لعل) مراعاة

مُسْفَرَةٌ - عبس/٣٨﴾، وقوله ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرَهُّفُهَا فَتْرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجْرَةُ - عبس / ٣٨ - ٤٢﴾ (إذ زاد المقطع الطويل الكامل (ت - ب) في مستبشرة زيادة في استبشار المؤمنين بالنعيم المعد لهم في حين أدى بالمقاطع المقفلة في (ترهفها، عليهم) إلى زيادة الهم والضييق الذي يعترى هؤلاء الكفرة الفجرة فتغبر وجوههم ويغشاها الغبار كناية عن كثرة الهم والغم والضييق الذي هم فيه، وقد يعبر بالمقاطع المفتوحة في سياق الندم كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكَرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي - الفجر / ٢٣ - ٢٤﴾.

٣- السياق الإيقاعي: تؤدي الفواصل دوراً كبيراً في سياق صوتي من خلال اتساقها في الآيات ففي قوله تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامٌ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) - الدخان / ٤٣-٤٩﴾ تتسق الآيات اتساقاً صوتياً من خلال الإيقاع والنبر والتنغيم في ثانيا النص الكريم بالاعتماد على سبعة الميم وتكراره في نهاية كل آية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الفواصل تقوى وتقدر في السور المكية التي اتصفت ((بالزجر، والتسفيه، والوعد، والتهديد، والترغيب، والترهيب، والتبشير، والإنذار في أسلوب شديد الأسر متتابع السجعات الرنانة، والفواصل المدوية القصيرة))^(٥١)، وأنها - أي الفواصل - تضعف وتطول في السور المدنية التي امتازت بغلبة الاسترسال،

الوجود لم يخلق فيه ليل مطلقا فجاءت في الفاصلة (أفلا تبصرون).

(٢) مناسبة لفظية: وهي الإتيان بألفاظ موزونات مقفاة وغير مقفاة، وهذا يعني أن المناسبة اللفظية نوعان:

أ - تامة: مقفاة موزونة نحو قوله تعالى ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ - القلم/ ١﴾.

ب- ناقصة: موزونة غير مقفاة نحو قوله تعالى

ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ - ق/ ١-٢﴾،

ويهما من هذا التناسب الذي يقع في الآيات

المتشابهة نحو قوله تعالى ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

عَيْنًا - البقرة/ ٦٠﴾ وقوله تعالى ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا

عَشْرَةَ عَيْنًا - الأعراف/ ١٦٠﴾، فقد أثر التعبير

القرآني (انفجر) في سورة البقرة على (انبجس) في

سورة الأعراف لما يقتضيه السياق، ولو غير بينهما

فاستعمل الانفجار مكان الانبجاس لكان خلاف الأولى

وخلاف ما يقتضيه السياق والمقام، وإن كان الانفجار

والانبجاس مترادفين إلا أن الأول أكثر وأغزر من

الثاني فناسب إجابته بانفجار الماء؛ لأن موسى هو

الذي استسقى في سورة البقرة قال تعالى ﴿وَإِذِ

اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ... (في حين في سورة

الأعراف كان قومه هم الذين استسقوا موسى. قال

تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ...﴾

(فناسب ذكر الانفجار في سورة البقرة والانبجاس في

سورة الأعراف؛ لأن القول الصريح من الله أكمل

وأقوى من الوحي^(٥٩).

(٤) السياق الصرفي: ويهدف إلى (دراسة

المفردات لا بوصفها صيغا أو ألفاظا فقط وإنما

لفواصل الآي، ولو جاءت على الأصل لقليل:لعلي

أرجع إلى الناس فيعلموا، ومثال الحذف قوله ﴿وَاللَّيْلِ

إِذَا يَسْرِ - الفجر/٤﴾ إذ حذف الياء من (يسري)

مناسبة للواصل. وأمّا مثال التحول من صيغة إلى

أخرى قوله تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ

مَاءٍ دَافِقٍ - الطارق/٥-٦﴾ أي مدفوق فقد عدل من

اسم المفعول إلى اسم الفاعل مشاكلة للواصل

القرآنية^(٥٦)؛ وهذا ما سماه الدكتور أحمد نصيف

الجنابي بالسياق الموسيقي متكنا على ثقافته الأدبية

مقارنا بين قافية الشعر وواصل الآي لذا نراه في

بحث آخر يعقد صلة بينهما في بحثه (الصلة بين

القافية وواصل الآي)^(٥٧)، ويبدو أن الدكتور عبد

الواحد زيارة قد اقتفى أثر الدكتور الجنابي فسمى

السياق القرآني إيقاعا لذا آثرت تسمية السياق

الإيقاعي على السياق الموسيقي الذي قال به الجنابي.

ومما يتصل بالسياق الإيقاعي أو الموسيقي السياق

التناسبي أو ما سماه القدماء بعلم المناسبة الذي قسمه

ابن أبي الأصبع المصري على قسمين: ^(٥٨)

(١) مناسبة معنوية: وهي أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم

يتم كلامه بما يناسبه معنى وليس لفظا نحو قوله

تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ

يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا

تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ

سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ

تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ - القصص/٧١-٧٢﴾

فناسب السماع للظرف المظلم من جهة صلاحية

الليل للسمع دون الإبصار لما (أن جعل الليل سرمدا

إلى يوم القيامة)، وبالمثل جعل النهار سرمدا إلى يوم

القيامة فناسب الإبصار للظرف المضيء، وكان

١٣، ١٤﴾، وقوله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرْكَانِ يُنظَرُونَ - المطففين / ٢٢ - ٢٣﴾ (وقد وردت الأبرار في ستة مواضع في القرآن الكريم، ولم ترد (البررة) إلا في موضع واحد هو قوله تعالى ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ - عبس / ١٥ - ١٦﴾ (صفة للملائكة ولعل السبب يعود إلى أن الأبرار إذا قيسوا بالفجار كانوا قلة فجيء بالفجار على جمع كثرة والأبرار على جمع قلة قال تعالى) وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ - سبأ/ ١٣ (وقال) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ - يوسف/ ١٠٣ (فجيء بالجمع للدلالة على القلة النسبية وحيء بصفة الملائكة بلفظ (البررة) لا (الأبرار) للدلالة على الكثرة لأنهم كلهم كذلك بخلاف البشر (٦٥).

(٥) السياق القصصي: قصص القرآن ولاسيما الأنبياء (آدم، وموسى، وإبراهيم، وعيسى، ونوح.. الخ) نجدها مكررة موزعة على سور متنوعة إلا قصة النبي يوسف (ع) فهي في سورة واحدة (سورة يوسف)، ولعل موضوعها الإجمالي الصرف وخصوصيتها من بين قصص الأنبياء جعلها متفردة في سورة واحدة، وأن هذه السورة تمثل قصة كاملة من بدايتها إلى نهايتها مما يسبغ عليها تماسكاً نصياً. ولعل الحكمة من عدم تكرار قصة يوسف (ع) وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد من دون غيرها من القصص يعود إلى (٦٦):

١- تشبيب النسوة بيوسف، وتضمن الأخبار عن حال امرأة، ونسوة افتتنن بأبدع الناس جمالاً، وأرفع مثلاً فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر.

بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة (٦٠)، وأن المبنى الصرفي الواحد ((متعدد المعنى ومحتمل كل معنى مما نسب إليه وهو خارج السياق أما إذا تحقق المعنى بعلاقة في سياق فإن العلاقة لا تفيد إلا معنى واحداً تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية)) (٦١)، ويدرس السياق الصرفي السوابق، واللواحق، والزوائد فكل زيادة في المبنى ترافقها زيادة في المعنى، وكثيراً ما يقترن السياق الصرفي بالسياق النحوي لتفاعل الصرف والنحو في سياق واحد (٦٢) مثال ذلك استعمال (أفعل) و(فعل) مثل أنزل ونزل فقد قال تعالى في العنكبوت) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ - الآية ٥٠ ﴿وقال في الأنعام) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ - الآية ٣٧﴾ فالظاهر أنّ الموقف في سورة الأنعام أشد وأعت مما في سورة العنكبوت لذلك استعمل الصيغة المشددة (٦٣).

ومثله استعمال جمع القلة وجمع الكثرة مع العدد نفسه في نحو قوله تعالى) مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ - البقرة/ ٢٦١ ﴿، وقوله) إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ - يوسف / ٤٣ (إذ العدد واحد هو (سبعة) لكنه استعمل معه تارة جمع الكثرة، وتارة أخرى جمع القلة؛ والسبب لأن الأولى سيقت في مقام التكثير، والمضاعفة فجيء بها على (سنابل) لبيان التكثير أما قوله) وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات - يوسف / ٤٣ (فجاء بها على القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير (٦٤)، وكذا استعماله (الأبرار والبررة) نحو قوله تعالى) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ - الانفطار/

القليل، ونكّل الله بالمكذّبين وهذا يعني أنّ هناك وحدة دلالية بين القصص (٦٩).

وأغلب الظن أنّ التعبير القرآني يختار في سياق القصة جواً مناسباً للحدث مثل اختيار (الليل) في سورة مريم، و(اليوم) في سورة آل عمران (قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا — مريم / ١٠)، (آيَتُكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا — آل عمران — ٤١) كما أنه ناسب ذكره الليل في سورة مريم بالنداء الخفي إذ قال (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا — الآية ٣) فقد حسن ذكر خفاء النداء بشبه الخفاء في الليل، ومما حسن ذلك أيضاً ذكر شيخوخته وضعفه، وهي شيء أشبه بالليل ذي السبات وقلّة الحركة (٧٠) في قوله تعالى (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبًّا شَقِيًّا — مريم / ٤).

(٦) السياق المعجمي: ويمثل السياق المعجمي مستوى آخر من مستويات البنية اللغوية الأفقية التي تقوم بين المفردات بوصف الأخيرة وحدات معجمية دلالية لا وحدات نحوية أو أقساماً كلامية عامة (٧١). بيد أنّ المعجم العربي لا يستطيع حصر جميع السياقات التي تقع فيها العبارة أو الكلمة مما جعل القدماء يلجأون إلى السياق لكي يفسروا ما اهتموا بتفسيره من اللغة، ولاسيما تفسيرهم القرآن الكريم حين سخّروه بدقّة عند تناولهم للآيات فضلاً عن إفادتهم من أسباب النزول (٧٢).

إنّ معنى الكلمة في المعجم متعدد، ومحمّل لكن معناها في السياق واحد لا يتعدد لسببين (٧٣):

١- لوجود قرائن فيه تعين على التحديد (قرائن المقال).

٢- إنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص فإنّ مآلها إلى الوبال.

٣- إشارة إلى عجز العرب كأنّ النبي (ص) قال لهم: إنّ كان من تلقاء نفسي تصديره على الفصاحة فافعلوا في قصة يوسف ما فعلته في قصص سائر الأنبياء.

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أنّ القصة في القرآن لا تتكرر بل يفرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق وبحسب ما يراد من مواطن العبرة والاستشهاد، لذا فقد أثر تسمية الحشد الفني في القصص القرآني بدلا عن التكرار في القصص القرآني مثال ذلك ورود قصة آدم (ع) في سورة البقرة والأعراف وص والحجر، ومثله ورود قصة موسى في سورة البقرة والأعراف والشعراء (٦٧).

والملاحظ أنّ تكرار القصة في أكثر من موضع، وفي أكثر من سورة يحقق التماسك النصي على عدة محاور (٦٨):

١- على مستوى القصة نفسها على الرغم من ذكرها في أكثر من سورة.

٢- على مستوى الموقف من القصة المذكورة في السورة، والسورة نفسها.

٣- على مستوى السورة، والسور الأخرى التي ذكر فيها مواقف من القصة.

وقد يقع هذا التماسك ليس بين مواقف القصة الواحدة المذكورة في أكثر من سورة بل بين قصص الأنبياء جميعاً على اختلاف عصورهم فكلهم أوحى إليه وكلف بالدعوة وقام بها، وكذّبه معظم قومه وصدّقه

٢- ارتباط كل سياق بمقام معين يحدد عنده في ضوء القرائن الحالية.

فالكلمة صورة صوتية مفردة في ذهن المجتمع أو صورة كتابية بين دفتي المعجم، والمتكلم هو الذي يحول هذه الصورة إلى حقيقة (سمعية أو بصرية) كما يحولها من الأفراد (طابع المعجم) إلى السياق الاستعمالي (طابع الكلام)^(٧٤)، ويشير الدكتور تمام حسان إلى حقيقة وهي أن المعجم ينتفع بنتائج المستويات التحليلية وهي النظام الصوتي والنظام الصرفي، والنظام النحوي، وهي النظم المسؤولة عن تحديد المعنى الوظيفي^(٧٥).

ثانياً: أنماط السياق الخارجي: وهي على النحو الآتي:

١- السياق الاجتماعي: ويشمل عدداً كبيراً من العوامل من بينها المجموعات الاجتماعية التي ينتمي إليها المتحدث، والعلاقات الاجتماعية بين المتحدث والمتلقي والتعامل الاجتماعي ونوعية هذا التعامل والمعرفة المشتركة بين المشتركين في الكلام^(٧٦)، ولعل أفضل طريقة لتعلم اللغة هي أن يعيش طالب التعلم حيناً في المجتمع الذي يتحدث اللغة ذلك لأن اللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع حتى أن اللغويين المحدثين أصبحوا متفقين على أن اللغة نشاط اجتماعي يقوم به الإنسان فهي ليست مجرد معبر عن الفكر كما تعرف قديماً، لذا فإن السياق الاجتماعي متم للمعنى لا يمكن الاستغناء عنه في تفسير اللغة^(٧٧).

ولا يخفى على ذي لب أن القرآن الكريم قد راعى هذا السياق من خلال تشريعاته السمحة في ما يتعلق بأمور الزواج والطلاق والميراث فضلاً عن نهيه عن

عادات اجتماعية سيئة كانت سائدة في الجاهلية مثل (وأد البنات قال تعالى) وإذا الموءودة سئلت* بأي ذنب قتلت - التكوير/٨،٩ (وكذا قتل الأولاد خشية الفقر قال تعالى) ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم - الأنعام / ١٥١ (وقال) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم - الإسراء / ٣١ (إذ قدم رزق الآباء على رزق الأبناء في الأنعام في حين قدم رزق الأبناء على رزق الآباء في الإسراء لأنهم في الأنعام يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم فهم محتاجون إلى الرزق العاجل. أما في الإسراء فالأمر مختلف لأنهم يقتلون أولادهم خشية الفقر في المستقبل لا لأنهم مفنقرون في الحال إذ آية الأنعام خاصة بالفقراء أما آية الإسراء فخاصة بالموسرين^(٧٨).

٢- السياق التاريخي: أشار القرآن الكريم إلى حقائق تاريخية ذات صلة وثيقة بحياة العرب عندما يذكر أماكن وأخبار خارجة عن محيطهم فلم يخاطبهم إلا بما يفهمونه ويعهدونه لاسيما أن للعرب أسفاراً وتجارات واتصالات تربطهم بالعالم الخارجي فالقرآن نوه بتجارتهن. قال تعالى (إيلاف قريش* إيلافهم رحلة الشتاء والصيف إيلافهم رحلة الشتاء والصيف - قريش / ٢،١) وكانت مكة مركزاً للقوافل التجارية.

وفي هذا السياق لا يمكن فهم الآيات بمجرد الأدوات اللغوية بل لابد من الإحاطة بجوانبها التاريخية والوقوف على تفاصيلها الحقيقية^(٧٩)، ومثال ذلك قوله تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل - الفيل / ١) وقوله (قتل أصحاب الأخدود - البروج / ٤) وقوله (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد -

من نتائج المغامرات الفكرية في دراسة اللغة في الفكر المعاصر^(٨٣).

إن فكرة المقام هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة، وهو الأساس الذي تنبني عليه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال^(٨٤)، وبالرغم من أن علم الدلالة المعاصر يتناول جوانب أخرى غير نظرية السياق أو فكرة المقام، إلا أن نظرية السياق تشكل ركناً مهماً من أركان علم الدلالة؛ لأن التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا إلا المعنى الحرفي للنص، وهو معنى فارغ تماماً من محتواه الاجتماعي والتاريخي، ومنعزل عن كل ما يحيط به النص من القرائن التي تحدد المعنى^(٨٥).

وقد حرص القرآن الكريم على اختيار الألفاظ بحسب سياق المقام، وللتدليل على ذلك نذكر نصين قرآنيين متشابهين في اللفظ لكنهما مختلفان في المقام، أحدهما من سورة النمل في قوله تعالى) وألق عصاك فلما رآها تهتّر كأنها جانٌّ ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون/١٠﴿، والآخر من سورة القصص في قوله تعالى) وأن ألق عصاك فلما رآها تهتّر كأنها جانٌّ ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين/٣١﴿، ففي القصص ذكر لفظة (أقبل) ولم يذكرها في النمل؛ لأن المقام في النمل مقام إيجاز لا مقام تفصيل كما في القصص، وكذا شيوع جو الخوف في القصص يدل على إيغال موسى في الهرب فدعاه إلى الإقبال وعدم الهرب. أضف إلى ذلك أنه قال في النمل (إني لا يخاف لدي المرسلون)؛ لأن المقام مقام تكريم وتشريف ويدلنا على زيادة التكريم والتشريف زيادة

الفجر/٩) (وقوله:) لَقَدْ كَانَ لِسِبَّاءٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئْتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ - سبأ/١٥) (وقوله) (غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ - الروم / ٣، ٢) (فضلاً عن ذلك فسورة التوبة لا تفهم بمعزل عن تفاصيل غزوة تبوك، وسورة الأنفال تكاد تكون مختصة بغزوة بدر، وسورة الحشر فيها تسجيل تفصيلي لغزوة بني النضير، وسورة الفتح مرتبطة بصلح الحديبية وفتح مكة، وسورة الأحزاب سميت بإحدى الغزوات المشهورة وهي غزوة الخندق، أما سورة المزمل، والمسد، والمدثر، والجن، والفيل، والكوثر، والعلق والقلم، والتحريم، والنور، لا يتأتى لنا فهمها فهماً كاملاً ما لم نُحيط إحاطة تامة بتفاصيل سيرة المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم)^(٨٦).

٣- سياق الحال أو سياق المقام: لما كان المعنى المعجمي ليس كل شيء في معرفة الكلام إذ لا بد من عناصر غير لغوية لها دخل كبير في تحديد المعنى بل هي جزء من أجزاء معنى الكلام وهي ظروف الكلام وملابساته، وهذا ما يسمى (بسياق الحال) الذي يمكن تعريفه بأنه كل الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب النص وتحيط به نطقاً أو كتابةً^(٨٧).

ويطلق على سياق الحال أكثر من مصطلح منها: مقتضى الحال - وهو مصطلح قديم -، والماجريات أو سياق الموقف، وسياق المقام. وتقف هذه المصطلحات في مقابل مصطلح سياق المقال^(٨٨)، ولعل أقدم عبارتين جمعنا فكرة السياق هما اللتان نادى بهما البلاغيون العرب بقولهم: "كل مقال مقام" و"لكل كلمة مع صاحبها مقام"، وقد عدتا

٣- اثر النص الكلامي في المشتركين كالاقتناع، أو الاعتراض، أو الضحك، أو السخرية، أو غير ذلك. وهذه العناصر كلها موجودة في أسباب النزول، وللتدليل على ذلك نأخذ قصة الإفك التي تحدث عنها القرآن الكريم بقوله) إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم- النور/ ١١ (إذ عند تأمل سبب نزول هذه الآية نجد صدى هذه العناصر الكلامية، فالمتكلم هو القرآن - الله تعالى- والسامع هو الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وعائشة والمسلمون، والشخصيات الأخرى المغرضون أمثال: عبد الله بن أبي سلول، وأم مسطح - رفيقة عائشة- وغيرهم، وزمان النزول غزوة بني المصطلق، ومن العوامل المتعلقة بالسلوك اللغوي فقد عائشة عقدها ورجوعها للبحث عنه مع رفيقتها أم مسطح مما جعل بعض المنافقين يتهم عائشة بالزنا فنزلت الآية مبرأة إياها من هذه التهمة^(٩٢).

وبذا تتضح عناية القرآن الكريم والعرب بأسباب النزول للإحاطة بما يرافق النص القرآني من ظروف وأحداث كي يصل المفسر إلى فهم صحيح للآيات، فهي - أسباب النزول - قرائن للكشف والتفسير تسهم مع القرائن الأخرى لتوجيه النص القرآني وجهة أكثر دقة^(٩٣).

ولعل خير وسيلة نعتمد عليها في معرفة هذه الأحوال والظروف والملايسات - أسباب نزول الآيات وارتباط ذلك بسياق حال المخاطبين ولناخذ أمثلة على ذلك:-

(١) ما جاء في سبب نزول سورة المطففين: ((عن ابن عباس (رض): لما قدم النبي(صلى الله عليه وآله

لفظة (لدي) في حين قال في القصص (انك من الأمنين)؛ لأن المقام مقام خوف، والخائف لا يحتاج إلى الأمن^(٨٦).

ويفرق بعض الدارسين المحدثين بين سياق الحال والسياق الاجتماعي في كون سياق الحال سياقاً مؤقتاً يتصف بالآنية عند النطق بالكلام أو عند كتابته، أما السياق الاجتماعي فهو سياق سائد يتصف بالثبات أو الدوام^(٨٧). ويبدو أن هذا الكلام لا ينطبق على النص القرآني؛ لان سياقه يتناول جميع الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني^(٨٨).

ويعد بعضهم السياق الاجتماعي من سياق الحال متكناً على كون اللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن فصلها عن المجتمع والسياق الاجتماعي^(٨٩).

أما رائد النظرية السياقية فهو العالم الانكليزي جون فيرث الذي أكد الوظيفة الاجتماعية للغة وصرح بان المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة^(٩٠).

وقد حدد فيرث العناصر المتصلة بسياق الكلام بثلاثة عناصر هي^(٩١):

١- شخصية المتكلم والمتلقي، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات أخرى تشهد الحدث الكلامي، وأحداث غير كلامية كالإشارات، وتعبيرات الوجوه والانفعالات وغيرها.

٢- العوامل والظواهر الاجتماعية التي تتصل بالموقف الكلامي كالمكان الذي تجري فيه العملية الكلامية أو الطقس، وحالة الجو، والوضع السياسي، وعلاقة ذلك كله بالسلوك اللغوي وقت الكلام.

اللفظين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ﴾
(عندما كان يتعبد بغار حراء. جاء في سبب نزول
سورة المدثر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:
(قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :
جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى نزلت
فاستبطنت الوادي فنوديت فلم أرَ أحداً فرفعت رأسي،
فاذا الملك الذي جاني بحراء. فرجعت فقلت:
دثروني. فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾
(٩٧)، ولتعظيم الله حبيبه المصطفى وتبجيله إياه
وتخصيصه عن سواه من الأنبياء لم يناده بـ (يا
محمد) بل بـ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) (٩٨)، و﴿يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ﴾ (٩٩) في حين نادى الأنبياء بأسمائهم (١٠٠)
بقوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ -
البقرة/ ٣٥﴾ (وقوله: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ - هود /
٤٨﴾ (وقوله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ * فَذَكَرْنَا الرُّؤْيَا - الصفات
/ ١٠٤-١٠٥﴾ (وقوله: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ
عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي - الأعراف /
١٤٤﴾ (وقوله: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلِّ عَلَى الْبَنَاتِ
آل عمران / ٥٥﴾.

أما الخطاب الغليظ فنجده في سياق آيات الشرك
والمشركين، والكفر والكافرين، والنفاق والمنافقين،
والجهاد والمجاهدين من ذلك قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَأَقْتُلُواهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ
مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمُ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمُ
فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ - البقرة/ ١٩٠ -
١٩١﴾ (وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ

وسلم) المدينة كانوا من أبخس الناس كيلاً فأنزل
الله ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ (فأحسنوا الكيل بعد ذلك) ((٩٤)،
ويروى أنّ رجلاً يدعى أبا جهينة كان له صاعان
يأخذ بأحديهما ويعطي بالآخر فجاءت الآيات في
السورة المباركة وعيداً لكل من طفف الكيل والوزن
(٩٥). قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا
عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ
يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ - الآيات /
١ - ٤﴾

(٢) ما جاء في سبب نزول سورة الممتحنة أنه لما
تجهز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفتح
مكة كتب حاطب بن بلتعنة يخبرهم بذلك، وقال لهم:
إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن
يغزوكم فخذوا حذرکم ثم أرسل الكتاب مع امرأة
مسافرة فنزل الوحي على رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) يخبره بذلك فبعث رسول الله (صلى
الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) والزبير
والمقداد (رضي الله عنهما) واستخرجوا الكتاب من
عقيصتها ﴿﴾ بعد أن هدّوها بالقتل (٩٦) فنزل
قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي
وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا
جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ - الممتحنة / ١﴾

أقول لا يمكن فهم السورتين السابقتين وأمثالهما ما لم
نطلع على سبب نزول كل سورة أو آية.
وقد يكون السياق هادئاً أو شديداً غليظاً بحسب
المقام وبحسب منزلة المخاطب ففي خطابه نبيه
الكریم (صلى الله عليه وآله وسلم) نلمس خطاباً
هادئاً لطيفاً لمؤانسته وبعث الأمن والطمأنينة في قلبه
كما في سورتي المدثر والمزمل إذ خوطب بهذين

ذلك السياق فقد سبقت هذه الآية بقوله ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ - الدخان/ ٤٧ - ٤٨﴾ .
وهذا موجود في الشعر من ذلك قول الحطيئة في هجاء الزبرقان بن بدر^(١٠٥):

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
إذ أراد الحطيئة: المطعوم المكسو.

أما خطابه للكافرين فكان خطاب ذم وتحقير^(١٠٦) من ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ - التحريم / ٧﴾ وقوله ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ - الكافرون/ ١، ٢﴾ وبعكسه خطابه للمؤمنين خطاب لين ورفق وتلطف من ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ - الممتحنة/ ١﴾ وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتَ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرَ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - التحريم / ٨﴾ .

الخاتمة

اتضح لي من خلال البحث أن للسياق أنماطاً متعددة تتضوي تحت نوعين رئيسيين هما: الأول: السياق الداخلي، ويسمى أيضاً السياق اللغوي، ويشمل السياق الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والقصصي، والثاني: السياق الخارجي، ويسمى أيضاً السياق غير اللغوي، ويشمل سياق المقام، والسياق

وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَنْ تَغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ - المجادلة/ ١٤ - ١٧﴾ .

وقد يستعمل التعبير القرآني الكنية للمشارك مع أن الكنية يراد بها الإكرام والاحترام ففي سياق اللعنة والعذاب يكني تعالى عن عبد العزى عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ (أبي لهب) في قوله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ - المسد/ ١) إذ يطرح صاحب المنة^(١٠١) تساؤلاً مفاده أن الله تعالى ذكر أبا لهب بكنيته دون اسمه مع أن ذلك إكرام واحترام، والسياق سياق لعنة وعذاب، ويجب على ذلك بالقول: إن القرآن الكريم لم يذكر اسمه (عبد العزى) لأمرين:—

(١) لمانع ثبوتي وهو مخالفته للواقع من حيث كونه عبداً حقيقياً.
(٢) لمانع إثباتي أو إعلامي، وهو تعمد حذف أمثال هذه الأسماء من السياق القرآني لأن في ذكرها تخليداً لأصحابها.

فضلاً عن ذلك نجد أن لفظة أبي لهب مناسبة مع حاله الأخرى فمن اللطيف أن يُسب بكنيته باعتباره من المعاقبين مع ملاحظة تناسب النار ذات اللهب مع أبي لهب^(١٠٢)، وهذا التناسب أو التجانس الفني بين (النار ذات اللهب) و(أبي لهب) له قيمته الفنية الممتعة المثيرة^(١٠٣).

ومثل هذا الاستعمال نجده في خطابه أبا جهل في قوله تعالى (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ - الدخان / ٤٩﴾، إذ استهزأ بالمخاطب^(١٠٤) والذي يدلنا على

حاسمة، وبعبكسه في السور المدنية إذ جاءت مسترسلة مناسبة نزاعة إلى التفصيل والتوضيح لأنها خاطبت مجتمعاً آمن بالله ورسوله.

وكانت قصص الأنبياء موزعة على سور كثيرة إلا قصة يوسف فقد تفرقت بوقوعها في سورة واحدة لا غيرها هي سورة يوسف لخصوصية هدفها الاجتماعي ومراعاة لمشاعر المسلمين والمسلمات، فضلاً عن ذلك فإن توزع القصص على سور القرآن لا يعني بالضرورة تكرار هذه القصص، وإنما السياق اقتضى ذلك زد في ذلك تحقيق التماسك النصي الذي يكون في القصص على مستويات ثلاثة: في أكثر من سورة على مستوى القصة نفسها، وعلى مستوى الموقف من القصة في السورة والسورة نفسها، وعلى مستوى السورة والسور الأخرى الي فيها مواقف من القصة.

ويشتمل السياق الخارجي على سياقات متعددة تبدو متشابهة لكنها مختلفة فالسياق الاجتماعي يتعامل مع مجموعة من العلاقات الاجتماعية بين المتحدث والمتلقي والتعامل الاجتماعي ونوعيته بين المشتركين، ووسياق الحال يعتني بكل الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب النص وتحيط به نطقاً أو كتابةً ويمكن التعرف عليه في النص القرآني من خلال علم المناسبة وسبب النزول، في حين يعتني السياق التاريخي برصد الحقائق التاريخية ذات الصلة بحياة الناس وقد أشار القرآن إلى الحوادث والغزوات والتجارات والأسفار وكان التركيز على غزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته العطرة فضلاً عن قصص الأنبياء (عليهم السلام).

الاجتماعي، والسياق التاريخي، وسياق الحال، وسياق الموقف.

ولعل مما يفسر تعدد سياقات التعبير القرآني الداخلية (اللغوية) والخارجية (غير اللغوية)، وهو أن النص القرآني غني بمدلولاته، مرن بتفاعله مع الواقع ولا يجذب غناه ولا يقيد مرونته سوى البعد عن السياق فضلاً عن كون القرآن حملاً أوجه أي صلاحيته لكل زمان ومكان.

ولكل نمط من أنماط السياق خصوصيته فالسياق النحوي يبرز بوساطة البنية النحوية وعلاقات الكلمات ووظائفها ومواقعها من حيث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، ومجيء الفعل ماضياً أو مضارعاً، مبنياً للمجهول أو مبنياً للمعلوم، والسياق الصرفي الذي يركز على السوابق، واللواحق، والزوائد فكل زيادة في المبنى ترافقها زيادة في المعنى، وكثيراً ما يقترن السياق الصرفي بالسياق النحوي لتفاعل الصرف والنحو في سياق واحد، أما السياق الصوتي فيتجلى من خلال التنغيم في الآيات فضلاً عن الإيحاء الصوتي للكلمات القرآنية، مع استعمال المقاطع المقفلة في سياق العقاب الصارم للظالمين والكافرين واستعمال المقاطع المفتوحة في سياق النعيم عند وصف حالة المتقين وما هم فيه من دعة، ورخاء، وحبور. وقد كان للفاصلة القرآنية أثر كبير في تكوين السياق الصوتي، وإن كنا قد سمّيناه بالسياق الإيقاعي ذلك الذي أطلق عليه القدماء عبارة (مراعاة الفواصل) أو (تناسب الفواصل)، ولعل الفاصلة في السور المكية جاءت متوائمة مع جبروت المكيبين وفعلهم المنكرات والعادات السيئة إذ جاءت سريعة آخذة غير مسترسلة حادة

- (٤) فاكهة البستان / عبد الله البستاني ٦٩١.
- (٥) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرون ٤٦٧/١.
- (٦) معجم المصطلحات الأدبية / إبراهيم فتحي ٢١٠.
- (٧) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب / مجدي وهبة وكامل المهندس ٢٨٨.
- (٨) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب / ناصيف اليازجي ٣٣٧/٢.
- (٩) ينظر: اللغة والمعنى والسياق / جون لاينز ٢٢٢.
- (١٠) المصدر نفسه ٨٣.
- (١١) يُنظر: السياق في الفكر اللغوي عند العرب (بحث) د. صاحب أبو جناح، مجلة الأقاليم، ع ٤، ٣، نيسان، ١٩٩٢، ص ١١٦.
- (١٢) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين / د. عواطف كنوش المصطفى ٩٣-١٧٧.
- (١٣) اللغة والمعنى والسياق ٨٣.
- (١٤) الدلالة السياقية عند اللغويين ٢٣٠.
- (١٥) يُنظر: لسان العرب، مادة (حرج) ٥٩٩/١.
- (١٦) يُنظر: تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة ٤٨٤.
- (١٧) البيان والتبيين / الجاحظ ٢٠/١.
- (١٨) يُنظر: لسان العرب، مادة (غيث) ١٠٣٤.
- (١٩) يُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن / عودة خليل أبو عودة ٥٠٧.
- (٢٠) المصدر نفسه ٥٠٨.
- (٢١) من وحي القرآن / د. إبراهيم السامرائي ١٢٧.
- (٢٢) يُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ٥١٢، ٥١١.

ويفيدنا السياق الاجتماعي في التعرف على عادات وقيم وأخلاق اجتماعية تحدث عنها القرآن الكريم وماهية العلاقات الاجتماعية زمن الدعوة الإسلامية ومقارنتها بالعلاقات زمن الجاهلية، ولا يمكن فهم كثير من الآيات ما لم نحط إحاطة تامة بالحوادث التاريخية التي تتعلق بنزول بعض الآيات أو السور فمثلاً سورة التوبة التي تحدثت عن غزوة تبوك، وسورة الأنفال ذكّرت بغزوة بدر، وسورة الحشر سجلت غزوة بني النضير، وسورة الفتح ارتبطت بصلح الحديبية وفتح مكة، وسورة الأحزاب وثقت غزوة الخندق حتى سميت بغزوة الأحزاب فضلاً عن أنّ سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) فصلّت في سور عديدة منها: المزمل، والمسد، والمدثر، والجن، والفيل، والكوثر، والعلق، والقلم، والتحريم، والنور وغيرها.

على أنّ اختلاف الخطاب القرآني متأثّر من اختلاف رتبة المخاطبين ومن اختلاف سياق حالهم فخطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يختلف عن خطاب بقية الأنبياء، وخطاب المؤمنين يباين خطاب المشركين إذ إنّ خطاب النبي جاء هادئاً لقصد مؤانسته وطمأنته أما خطاب المؤمنين فلين ممزوج بالنصح والإرشاد وبعكسه خطاب المشركين الذي جاء شديداً غليظاً يعتريه الوعيد بالنار والسعير والملائكة الغلاظ الشداد إذ يتنوع العذاب وتتعدد مشاهدته.

الهوامش:

- (١) أساس البلاغة / الزمخشري، مادة (سوق) ٣٧٥.
- (٢) سورة ق / الآية ٢١.
- (٣) لسان العرب / ابن منظور، مادة (سوق) ٢٤٢/٢.

- (٢٣) يُنظر: مراتب التفضيل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية (بحث) الدكتورة عواطف كنوش، مجلة دراسات لغوية وأدبية ع ٦، س ٢، ٢٠٠٢، ص ١٢.
- (٢٤) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن / السيوطي ٥٦٣/١.
- (٢٥) يُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ٥١٣.
- (٢٦) يُنظر: علم الدلالة / بالمر ٥٧.
- (٢٧) يُنظر: الدلالة السياقية عند اللغويين ١٠١.
- (٢٨) السياق في الفكر اللغوي عند العرب ١١٩ – ١٢٠.
- (٢٩) الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي، (بحث)، مجلة آداب الرافدين ع ٢٦، ١٩٩٤، ص ١٢٣.
- (٣٠) مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني ٥٦٤.
- (٣١) يُنظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث/ محمد أحمد أبو الفرج، ١٢٠، ١٣٢، وقد ارتضت الدكتورة عواطف كنوش المصطفى في كتابها الموسوم (الدلالة السياقية عند اللغويين ص ٥٢) هذا التقسيم، وأضفتُ إلى السياق الداخلي نوعاً أطلقتُ عليه السياق القصصي.
- (٣٢) يُنظر: من أسرار اللغة ٣١٠.
- (٣٣) يُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ٨٢.
- (٣٤) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها / د. تمام حسان ١٩١-١٩٢.
- (٣٥) يُنظر: المصدر نفسه ٢٠٥.
- (٣٦) يُنظر: التعبير القرآني / د. فاضل السامرائي ٧٢.
- (٣٧) ينظر: لهجة قبيلة أسد / أ.د. علي ناصر غالب ١٥٠.
- (٣٨) منة المنان في الدفاع عن القرآن / السيد محمد الصدر (قدس سره) ٢٤٧/١.
- (٣٩) التفسير البياني للقران الكريم / د. عائشة عبد الرحمن ٧٢/١.
- (٤٠) يُنظر: من أسرار العربية في البيان القرآني / د. عائشة عبد الرحمن ٥٣-٥٦، والإعجاز البياني في كتاب العربية الأكبر، د. عائشة عبد الرحمن، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ١٢، ١٩٦٠، ص ٢٠٦.
- (٤١) يُنظر: الزلزلة/١، والنبأ /١٨، الفجر/٢١، القمر/١، الانفطار / ٢، ٤، وغيرها.
- (٤٢) يُنظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني/ د. فاضل السامرائي ٧٥.
- (٤٣) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل / د. فاضل السامرائي ١١٥ – ١١٦.
- (٤٤) يُنظر: مراتب التفضيل في القرآن الكريم ١٢٤.
- (٤٥) لم أجده في ديوانيه سقط الزند واللزوميات.
- (٤٥) علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي / د. محمود السعران ١٥٩.
- (٤٦) يُنظر: مناهج البحث في اللغة/ د. تمام حسان ١٩٨.
- (٤٧) يُنظر: المصدر نفسه ٢٠٢.
- (٤٨) يُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ٨٢.
- (٤٩) يُنظر: مناهج البحث في اللغة ١٩٧.

- (٥٠) يُنظر: دراسات قرآنية في جزء عم / د. محمود أحمد نخلة ١١٢
- (٥١) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن / د. عبد الفتاح لاشين ٢١٠.
- (٥٢) يُنظر: الفاصلة في القرآن الكريم (بحث) د. عبد الفتاح لاشين، مجلة المورد، ع ٢، س ٧، شوال ١٤٠١ هـ (أغسطس ١٩٨١)، ص ٨١.
- (٥٣) يُنظر: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (بحث) محمد سليمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت ع ٣٦، مج ٩، سنة ١٩٨٩ ص ٨٨.
- (٥٤) من بلاغة القرآن / د. أحمد أحمد بدوي ٧٥.
- (٥٥) يُنظر: البرهان في علوم القرآن / الزركشي ٦١/١.
- (٥٦) لمزيد من التفصيل والأمثلة يُنظر: السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها د. أحمد نصيف الجنابي، آداب المستنصرية، ع ١٦، ١٩٨٨، ص ٥٠-٦٤.
- (٥٧) مجلة آداب المستنصرية، ع ٣، ١٩٧٨، ص ٨٣ وما بعدها.
- (٥٨) يُنظر: بديع القرآن ١٤٥-١٥٠.
- (٥٩) يُنظر: التعبير القرآني ٢٧٦ - ٢٨٧، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني ١٠٠ - ١٠١.
- (٦٠) الدلالة السياقية عند اللغويين ٥٨.
- (٦١) اللغة العربية مبناها ومعناها ١٦٥.
- (٦٢) الدلالة السياقية عند اللغويين ٦٠.
- (٦٣) يُنظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ٥٥.
- (٦٤) يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٢٢/٤.
- (٦٥) يُنظر: معاني الأبنية في العربية / د. فاضل السامرائي ١٤٢ - ١٤٣.
- (٦٦) يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٢٩/٣ - ٣٠.
- (٦٧) يُنظر: التعبير القرآني ٢٥١.
- (٦٨) يُنظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق / د. صبحي إبراهيم الفقي ١٧٧ / ٢.
- (٦٩) المصدر نفسه ١٧٧ / ٢ - ١٧٨.
- (٧٠) يُنظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ١٠٤.
- (٧١) يُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ٧٦.
- (٧٢) يُنظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ٩٨.
- (٧٣) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣١٦.
- (٧٤) يُنظر: المصدر نفسه ٣١٧.
- (٧٥) يُنظر: المصدر نفسه ٣٣.
- (٧٦) يُنظر: علم اللغة الاجتماعي / د. هديسن ٣٨.

- (٧٧) يُنظر: المعاجم اللغوية ١١٩ - ١٢٠.
- (٧٨) يُنظر: التعبير القرآني ٢٤٦.
- (٧٩) يُنظر: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم/عبد الوهاب أبو صفية الحارثي ١١٣.
- (٨٠) يُنظر: المصدر نفسه ١١٤.
- (٨١) يُنظر: علم اللغة ٣٣٨ - ٣٣٩.
- (٨٢) يُنظر: علم اللغة المعاصر/د. يحيى عابنة ود. آمنة الزعبي ٣٧.
- (٨٣) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها/د. تمام حسان ٢٠-٢١.
- (٨٤) يُنظر: المصدر نفسه ٣٣٧.
- (٨٥) يُنظر: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية /د. حلمي خليل ٢١٩.
- (٨٦) يُنظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ٨٢-٨٣.
- (٨٧) يُنظر: الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي ١٢٦.
- (٨٨) يُنظر: دلالة السياق ٨٨.
- (٨٩) يُنظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى/د. حامد كاظم عباس ١٧٤.
- (٩٠) يُنظر: علم الدلالة/د. أحمد مختار عمر ٦٨.
- (٩١) يُنظر: علم اللغة المعاصر ٣٨ - ٣٩.
- (٩٢) يُنظر: البحث الدلالي في تفسير مجمع البيان، أطروحة دكتوراه، خليل خلف بشير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦، ص ١٩٢ ويقارن بسبب النزول في: أسباب النزول/الواحي ٣١٨ - ٣٢٣.
- (٩٣) يُنظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ١٧٣.
- (٩٤) لباب النقول في أسباب النزول / السيوطي ٢٢٨.
- (٩٥) يُنظر: صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني ٥٣٢/٣.
- (*) جاء في المعجم الوسيط في مادة (عقص) في ص ٦١٥ ((عقصت المرأة شعرها عقصاً: أخذت كل خصلة منه فلوتها، ثم عققتها حتى يبقى فيها التواء ثم أرسلتها)).
- (٩٦) يُنظر: لباب النقول ٢١، وصفوة التفاسير ٣/٣٦٠.
- (٩٧) لباب النقول ٢٢٣.
- (٩٨) يُنظر مثلاً: الأنفال /٦٤، ٦٥، ٧٠، والتوبة /٧٣، والأحزاب /١، ٢٨، ٤٥، ٥٠، ٥٩... الخ.
- (٩٩) يُنظر مثلاً: قوله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - المائدة / ٦٧﴾.
- (١٠٠) يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٢/٢٢٨.
- (١٠١) السيد محمد الصدر (قدس سره) في كتابه منة المنان في الدفاع عن القرآن ١/٧٦.
- (١٠٢) يُنظر: المصدر نفسه ١/٧٧.
- (١٠٣) يُنظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم/د. محمود البستاني ٥/٤٥٠.
- (١٠٤) يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٢/٢٣١.
- (١٠٥) ديوان الحطيئة ١٠٨.
- (١٠٦) يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٢/٢٣٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ط، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ١٩٨٢.

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح / سعيد المنذوب، ط١: لبنان - دار الفكر، ١٤١٦ - ١٩٩٦م.
- الإعجاز البياني في كتاب العربية الأكبر (بحث) د. عائشة عبد الرحمن، مجلة مجمع اللغة العربية، ج١٢، ١٩٦٠.
- أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- أسباب النزول، الواحدي، تخريج وتدقيق: عصام عبد المحسن الحميدي، ط٣، دار الذخائر، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
- البحث الدلالي في تفسير مجمع البيان، أطروحة دكتوراه، خليل خلف بشير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦م.
- بديع القرآن، ابن أبي الأصبغ، تح / حفني محمد شرف، ط١، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٧.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح / محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٧.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د.فاضل السامرائي، ط١، بغداد، ٢٠٠٠.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي بمصر (د.ت).
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح/ أحمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨١.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، عودة خليل أبو عودة، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٥.
- التعبير القرآني، د.فاضل السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (د.ت).
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢.
- التفسير البنائي للقرآن الكريم، د.محمود البستاني، ط١، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٤ ق - ١٣٨٢ ش.
- دراسات قرآنية في جزء عمّ، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٨.
- دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب أبو صافية الحارثي، ط١، عمان، الأردن، ١٩٨٩.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، د.عواطف كنوش المصطفى، ط١، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
- الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي (بحث) د. كاصد ياسر الزبيدي، مجلة آداب الرافدين ع٢٦، ١٩٩٤.
- الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى (دراسة لغوية)، د.حامد كاظم عباس، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤م.
- ديوان الحطيئة، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
- السياق في الفكر اللغوي عند العرب (بحث)، د.صاحب أبو جناح، مجلة الأقلام، ع٣-٤، نيسان، ١٩٩٢.

- السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها، د. أحمد نصيف الجنابي، آداب المستنصرية ع ١٦، س ١٩٨٨.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط ٦، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨٥.
- الصلة بين القافية وفواصل الآي، (بحث) د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، ع ٣، ١٩٧٨.
- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، بيروت، (د.ت).
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط ١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م.
- علم الدلالة، بالمر، ترجمة /مجيد الماشطة، مطبعة الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥.
- علم اللغة الاجتماعي، د. هدرسن، ترجمة محمد عبد الغني عياد، مراجعة عبد الأمير الأعمش، دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٩٨٧.
- علم اللغة — مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ط ٢، دار الفكر العربي، ١٤١٧ هـ — ١٩٩٧.
- علم اللغة المعاصر — مقدمات وتطبيقات، د. يحيى عباينة ود. آمنة الزعبي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ١٤٢٦ هـ — ٢٠٠٥ م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط ١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ٢٠٠٠.
- الفاصلة في القرآن الكريم (بحث)، د. عبد الفتاح لاشين، مجلة الدارة، ع ١٤، س ٧، شوال ١٤٠١ هـ — (أغسطس ١٩٨١ م)
- فاكهة البستان، عبد الله البستاني، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٠.
- الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، ١٩٨٠ م.
- لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ط ١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٧٨.
- لسان العرب، ابن منظور، أعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٣.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة عباس صادق الوهاب، ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل السامرائي، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩.
- لهجة قبيلة أسد، أ. د. علي ناصر غالب، ط ١، دار الحامد، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٠٩.
- مراتب التفضيل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية (بحث)، د. عواطف كنوش، مجلة دراسات لغوية وأدبية ع ٦، س ٢، ٢٠٠٢.
- مستويات النظم في التركيب القرآني، عبد الواحد زيارة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨.

للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع ٣٦٤، مج ٩،
١٩٨٩.
— من وحي القرآن، د. إبراهيم السامرائي، ط ١،
اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر
الهجري، ١٩٨١.

— المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة
الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج، ط ١، دار النهضة
العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٦.
— معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي،
جامعة بغداد، ١٩٨٠.
— معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ط ١،
المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٦.
— معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،
مجدي وهبة وكامل المهندس، ط ٢، مكتبة لبنان،
بيروت، ١٩٨٤.
— المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد
عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،
١٣٦٤.
— المعجم الوسيط، قام بإخراجه (إبراهيم مصطفى،
وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي
النجار)، مطبعة مصر، ١٩٦٠.
— مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، دار الثقافة،
الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٩.
— من أسرار العربية في البيان القرآني، د. عائشة
عبد الرحمن، محاضرة ألقته في جامعة بيروت
العربية في ٢٧ آذار ١٩٧١.
— من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ط ٢، مكتبة
الأنجلو المصرية، (د.ت.).

ABSTRACT

The study starts with a definition of context in terminology and lexicology. The patterns are then discussed through the analysis of Quranic examples depending on modern and traditional studies of the Holy Quran, The discussion involves the internal (lexical, phonological, rhythmic, morphological, syntactic, narrative) and external (the

— من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي، ط ٣،
مطبعة نهضة مصر بالفجالة، (د.ت.).
— منة المنان في الدفاع عن القرآن، السيد محمد
الصدر (قدس سره)، دار النجوى، بيروت، (د.ت.).
— من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم،
(بحث)، محمد سليمان العبد، المجلة العربية

situation, the statue, the history, the social aspects) contexts of the Quranic text, It is emphasized that the theory of context of situation of the English Linguist John, firth was not new at that time because it was originally advocated by the Arab linguists, particularly Seebawayh, AL- Jahidh, Ibn Qutaiba, Ibn Jinni, AL- Jarjani...etc. As a proof of that, these Arab linguists were used to repeat that there would be always "a certain saying for every certain saying for every certain situation" or "the saying is as the situation requires" This indicates that they recognized. The importance of context to understanding the text and to analyzing its functions that make the text without forgetting, of course, the social and psychological situation that accompanies it and that those Arab linguists called "Alhal" or "Almaqam".

However, context in the Quranic style is idiosyncratic in that the Quranic text has implications that differ with the different situations it appears in. This affects directs and variatos the meaning. This study, thus is, an attempt to highlight certain features or aspects of the theory of situation and apply it to the Quranic text.